القدوة الحسنة وكيفية تطبيقها عمليًّا في الدعوة إلى اللّه

إعداد
د/ محمد عبدالعزيز عبدالفتاح أمان
جامعة الملك عبدالعزيز
أستاذ مساعد - كلية المجتمع - بجدة

من وسائل الدعوة
القدوة الحسنة وكيفية تطبيقها عمليًّا في الدعوة إلى الله

المحور الأول:- مفهوم القدوة.
المحور الثاني:- وسيلة الدعوة بالقدوة الحسنة.
المحور الثالث:- أنواع القدوة.
المحور الرابع:- أهمية القدوة الحسنة.
المحور الخامس:- أصول القدوة.
المحور السادس:- الدوافع النفسية للاقتداء.
المطلب الأول:- مواصفات الداعية القدوة.
المطلب الثاني:- أهمية القدوة التربوية.
المحور السابع:- ضوابط الدعوة إلى الله.
المحور الثامن:- منهج الإسلام في تقرير جانب القدوة الحسنة.
المطلب الأول:- القرآن الكريم وتقرير مبدأ القدوة.
المطلب الثاني:- السنة النبوية الشريفة وتقرير مبدأ القدوة.
المحور التاسع:- الآثار التربوية للقدوة.
المحور العاشر:- كيفية تطبيق القدوة الحسنة في الدعوة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.	١٠٨٥
المحور الأول:- مفهوم القدوة.	١٠٨٧
المحور الثاني:- وسيلة الدعوة بالقدوة الحسنة.	١٠٨٩
المحور الثالث:- أنواع القدوة.	١٠٩٢
المحور الرابع:- أهمية القدوة الحسنة.	١٠٩٣
المحور الخامس:- أصول القدوة.	١٠٩٦
المحور السادس:- الدوافع النفسية للاقتداء.	١٠٩٨
المطلب الأول:- مواصفات الداعية القدوة.	١١٠٠
المطلب الثاني:- أهمية القدوة التربوية.	١١٠٠
المحور السابع:- ضوابط الدعوة إلى الله.	١١٠٥
المحور الثامن:- منهج الإسلام في تقرير جانب القدوة الحسنة.	١١١٠
المطلب الأول:- القرآن الكريم وتقرير مبدأ القدوة.	١١١٠
المطلب الثاني:- السنة النبوية الشريفة وتقرير مبدأ القدوة.	١١١١

الموضوع	الصفحة
المحور التاسع:- الآثار التربوية للقدوة.	١١١٣
المحور العاشر:- كيفية تطبيق القدوة الحسنة في الدعوة.	١١١٨
الخاتمة وأهم النتائج.	١١٢١
فهرس المراجع.	١١٢٤

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فنحن ننتمي إلى الإسلام، وهذا الانتماء هو الذي شرفنا الله – تبارك وتعالى– به وسمّانا به، ورسولنا – صلى الله عليه وسلم – هو إمام الدعاة، وهو القدوة والأسوة والداعية المعلم الذي أمر الله تبارك وتعالى باقتفاء نهجه، وأن نقتدي به في: عبادتنا ودعوتنا، وخلقنا ومعاملاتنا، وجميع أمور حياتنا، قال تعالى: " **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" [يوسف:١٠٨]، وقال تعالى: **"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**" [الأحزاب:٢١] .

لذا فإن الدعوة إلى الله تعالى تعد من: أشرف الأعمال، وأرفع العبادات، وهي أخصُّ خصائص الرسل عليهم السلام، وأبرز مهام الأولياء الأصفياء من عباده الصالحين، قال تعالى: " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين" {فصلت: ٣٣}، والدعاة إلى الله هم صفوة مختارة من رجال الأمة؛ إذ يستلزم قيامهم بالدعوة أن يكونوا نماذج يحتذي بها الناس، وقدوة لهم في كل تصرفاتهم، تبدو عليهم آثار الرسالة التي يدعون الناس إليها على علم وبصيرة.

وقد أوجب الله على الأمة الإسلامية أن تهيئ من بينها طائفة تقوم بالدعوة إلى الإسلام الصحيح، وتهيئة هؤلاء الدعاة ليست أمرًا هينًا، بل تحتاج إلى إمكانيات وتضحيات مستمرة عما كان عند سلف هذه الأمة.

لذا تعد القدوة من أهم الطرق والأساليب التربوية المؤثرة في مجال الدعوة والتعليم؛ وذلك لاتفاقها مع: طبيعة النفس البشرية، ومع فطرة الإنسان، مع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسّدة وماثلة أمام المتأثرين بها.

ومن خلال محاولة التربية بأسلوب القدوة الحسنة: " ذلك الأسلوب الناجع، الذي يتربع على قمة الأساليب التربوية المؤثرة، حيث يترجم الكلمات إلى مواقف، ويحول العبارات إلى سلوكيات وأخلاق؛ فتتربى النفوس من خلاله تربية صحيحة مؤثرة"(١).

من ثم سيتحدث الباحث خلال هذا البحث عن عدة محاور: مفهوم القدوة، أنواع القدوة، أهمية القدوة التربوية، الدوافع النفسية للاقتداء، ضوابط القدوة، عرض منهج الإسلام في تقريرها، ثم يختم حديثه بكيفية تطبيقها في الدعوة.

---

(١) التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها: الحدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، ط جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ، صـ ١٩٩.

المحور الأول:- مفهوم القدوة:

في اللغة:- القدْو: أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء، يقال: قِدوة وقُدوة لما يقتدى به، والقُدوة والقِدوة: الأسوة[١].

وقال الجوهري في مادة (قدا): " القِدوةُ الإسوة، يقال: فلان قِدوة يقتدى به، وقد يضم فيقال: قُدوة وقِدوة وقِدَة" [٢].

وقال الأزهري: " القَدْو: أصل البناء الذي ينشعب منه تصريف الاقتداء، ويقال: قِدوة وقُدوة لما يقتدى به" [٣].

من هنا يتبين لنا أن القدوة والأسوة شيء واحد؛ فالقدوة هي: الأسوة والعكس، فالأسوة كما يقول القرطبي – رحمه الله –: (هي ما يتأسى به أي يعتزي به، فيقتدي به في جميع أحواله)[٤] .

ومن خلال ما جاء في كتب اللغة وبعض كتب التفسير عن القدوة يتضح لنا: أن القدوة لا تتحقق بصفة واحدة، ولكن يلمح ابن منظور في لسان العرب إلى شمول القدوة للصفات كلها، فلا يتحلى بخلة دون خلة، ومن هنا وجب على القائد المسلم الذي نريده قدوة صالحة أن: يتمثل شمائل النبي – ﷺ – ويطبق كل ما أثر عنه في سلوكه وأخلاقه ويتأسى به في كل أفعاله.

كذلك اتضح لنا من التعريفات السابقة: ضرورة أن تكون الخلال التي يتخلق بها أصلية لا مصطنعة، وكلما كانت الصفات والخلال الحسنة فطرية

---

(١) لسان العرب لابن منظور، باب القاف، فصل الدال مع الألف، مادة (قدا)، ١٥/١٧١، عام ١٤١٢هـ.

(٢) الصحاح : للجوهري، مادة (قدا)، ج٦، ص٢٤٥٩، عام ١٤١٤هـ.

(٣) تهذيب اللغة: للأزهري، محمد بن أحمد، تح: الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٧م، ج٩، ص٢٤٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، طبعة دار الثقافة، ٨/٢٣٧.

ومترسّخة في الإنسان كان تأثيرها في الغير أكبر، وكان داعي التخلق بها والاقتداء والمحاكاة منهم أشد؛ ولهذا يصح أن يقال: اقتدى به فكان له أسوة؛ فالقدوة الصالحة كما يراها الباحث: مثال من الكمال النسبي المنشود، يثير في النفس الإعجاب والانبهار؛ فتنجذب إليه النفس انجذابًا شديدًا، وتتأثر به تأثرًا عميقًا، يرسخ فيها القناعة التامة به، والحب العميق له، والانقياد الكامل لأفعاله.

وفي الاصطلاح قيل هي: المتابعة والمحاكاة، وقيل هي: المثال الذي يتشبه به غيره فيعمل بمثل ما يعمل، ويمكن إجمال القول فيها بأنها: الجهة أو الشخص الذي يتبنى توجهًا معينًا يصاحبه قوة تأثير على الآخرين.

هذا، ويمكن تعريف الداعية القدوة عند الدعاة بأنه: هو الشخص الداعية الذي يدعو إلى أنواع الفضائل، والكمالات السلوكية، والأفكار السليمة الصحيحة، وقد عمل بها واتصف بها من قبل(١).

وإذا قسنا أسلوب القدوة على واقع الدعوة وجانبها التطبيقي؛ لوجدنا أن موقعها يكون في أعلى درجات سلم الوسائل الدعوية، ولهذا صدّرت الحديث عنها من بين الوسائل الأخرى.

وقد استمدت هذه الأساليب – في معظمها– من: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، بل إن كثيرًا منها مارسه الرسول– ﷺ – في: تربية أصحابه، وتعليمهم مبادئ الإسلام، ولعل من أشهر تلك الأساليب والوسائل: الدعوة بالقدوة الحسنة.

(١) الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية: سعدون محمود الساموك، عمّان– دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص ١٦٣.

المحور الثاني:- وسيلة الدعوة بالقدوة الحسنة:

إن استقامة المؤمن على دينه، وقوة علاقته بربه، وحسن خلقه وتعامله: يعكس التدين الحقيقي لجوهر تلك النفس التي بين جنبيه، والذي يفيض عنها ذلك التأثير الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب؛ فيكون كل ذلك مدعاة للتأثير والاقتداء.

من ثم تعد القدوة من أهم الطرق والأساليب التربوية المؤثرة في مجال الدعوة؛ وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية، ومع فطرة الإنسان، رغم حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسّدة وماثلة أمام المتأثرين بها.

ومن خلال محاولة الدعوة بأسلوب القدوة الحسنة "ذلك الأسلوب الناجع، الذي يتربع على قمة الأساليب الدعوية المؤثرة، حيث يترجم الكلمات إلى مواقف، ويحوّل العبارات إلى سلوكيات وأخلاق؛ فتتربى النفوس من خلاله تربية صحيحة مؤثرة"[١].

ومن المعلوم أن التربية الإسلامية تقوم على الشمول في أهدافها وطبيعتها، وهذه الأهداف التي حددت وبرزت للتربية الإسلامية تساعد في: رسم الطريقة التي تتحقق بها[٢]، ولا يمكن أن تتحقق الأهداف التربوية وتؤتي ثمارها: دون وجود وسائل تربوية جيدة تحقق هذه الأهداف.

---

(١) التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، مرجع سابق، صـ ١٩٩.

(٢) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها: عماد محمد محمد عطية، ط. مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٢٥هـ.

وبما أن " غاية الدعوة الإسلامية هي: إيجاد المسلم الصالح، والمجتمع السوي الناجح، الذي يحقق عبر هذه الحياة مهمته الكبرى التي خلقه الله من أجلها: فإن الإسلام قد شرع عبر مصادره العظيمة الوسائل التربوية المناسبة؛ لتحقيق هذه الغاية"[١] الكبرى في بناء الإنسان المسلم ذي الأبعاد الثلاثة: " العابد لله تعالى، والمستخلف في الأرض، والمستعمر في الأرض.

وبقدر نبل الغاية وسمو الهدف: يأتي شرف الأسلوب، ونجاعة الطريقة، ولا سيما إذا كان المربي – في أول العهد – هو معلم الناس الخير: محمد (ﷺ)، وكان التلاميذ الذين التحقوا بمدرسته هم: الرعيل الأول من الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–"[٢].

وبتوجيه النظر إلى هذه الأساليب التي شرعها الإسلام: نجد أنها لم تأتِ على صورة واحدة تصيب المرء بالسآمة والنصب، إنما جاءت متنوعة ومختلفة، تغزو القلب وتنفذ إلى خلجاته ومكامنه؛ فتصنع منه آلة خيِّرة، موجهة لسلوك خيِّر.

من هنا يتضح لنا: وجود العديد من الأساليب التي تتم بها التربية الإسلامية، وهي: " أساليب تربوية أصيلة ومعاصرة؛ فأصالتها تتمثل في: امتداد جذورها إلى أربعة عشر قرنا من الزمان أو يزيد، كما أنها معاصرة تناسب العصر الحالي، وكل عصر" [٣].

---

(١) التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٢)التربية الإسلامية مفهومها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مربوها: العقيل، عبد الله بن عقيل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ، صـ ١٥٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية: القاضي، سعيد إسماعيل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٢هـ، صـ ١٧١.

ولقد كان" لتنوع الأساليب والوسائل التربوية التي أشار إليها الإسلام: أثره الفعال في تربية النشء؛ لأنه يتناسب مع اختلاف نوع المتربي ومرحلته ومزاجه، كما أن إلمام المربي ووعيه بتلك الأساليب – التي أثبتت نجاحها على مر التاريخ – أمر في غاية الأهمية للقيام بواجبه التربوي؛ لأنه لا يستطيع أن يربي الأجيال دون استخدام أساليب تربوية"(١).

(١) مدخل إلى التربية الإسلامية: الغامدي ، د. عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، الرياض، صـ ١٨٤.

المحور الثالث:- أنواع القدوة:

ذكر الشيخ صالح بن حميد[1] أن " القدوة نوعان: حسنة، وسيئة.

فالنوع الأول– القدوة الحسنة: وهو الاقتداء بأهل الخير والفضل والصلاح في كل ما يتعلق بمعالي الأمور وفضائلها من القوة والحق والعدل، وقدوة المسلمين الأولى: صاحب الخلق الأكمل والمنهج الأعظم رسولنا – ﷺ –، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (سورة: الأحزاب، آية: ٢١).

والنوع الثاني– الأسوة السيئة: ويعني السير في المسالك المذمومة، واتّباع أهل السوء، والاقتداء من غير حجة أو برهان، ومن ذلك قدوة المشركين في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة: الزخرف، آية: ٢٢)"[2].

(١) هو معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن محمد بن حميد من آل حميد من قبيلة بني خالد، من مواليد بريدة سنة ١٣٦٩هـ، رئيس مجلس الشورى السابق منذ تاريخ ٢٤ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، وهو الآن رئيس المجلس الأعلى للقضاء في السعودية (صالح بن عبد الله بن حميد من ويكبيديا الموسوعة الحرة).

(٢) القدوة مبادئ ونماذج: ابن حميد، صالح بن عبد الله، منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية،١٤١٥هـ، ص ٧–٨ .

المحور الرابع:- أهمية القدوة الحسنة:

تكمن أهمية القدوة الحسنة في الأمور التالية:

- أن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال: يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة(١).
- أن الناس مفطورون على الاقتداء بغيرهم واتباع سلوكهم وأفكارهم، لكن الاقتداء المطلوب يتحقق باتباع الجوانب الإيجابية في حياة العظماء، وهي كثيرة(٢).
- أن القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة: بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة،التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.
- أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حيّ، فإن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يريد الداعية إيصالها للمقتدي؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: اتَّخَذَ النَّبِيُّ – ﷺ – خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ – ﷺ – إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ، وَقَالَ: إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ"(٣)، قال العلماء: فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول(٤).

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ١٠.

(٢) القدوات الكبار: الشريف، محمد موسى، مكة، دار الفرقان، ١٤٢٨هـ، ص ١٢.

(٣)مسند أحمد بن حنبل، حديث٥٨٠٧، تخريج٢٣١، إسناده متصل، رجاله ثقات، رجاله رجال الشيخين.

(٤) القدوة مبادئ ونماذج: لابن حميد، مرجع سابق، ص١٠.

– أن تبيين عظمة القدوات يبث: العزة في نفوس الأجيال، ويوضح للعالم أجمع أننا نرتكز على موروثات رائعة فريدة نادرة، لم ولن تتكرر في أمة من أمم الأرض، وذلك يورثنا الاحترام والتقدير(١).

– أن تأثير الإنسان بالإنسان: حيث جبل – الله تعالى– بني آدم بل سائر المخلوقات، على التأثير بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى عدم تمييز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط، ولما كان بين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل أشد– ولأجل هذا الأصل وقع التأثير والتأثر في بني آدم – عليه السلام–، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة، بل إذا عاشر الآدمي نوعًا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه.

ولهذا (صار الفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، قال رسول الله – ﷺ –: " رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم "(٢) (أخرجه البخاري))(٣).

– أن المطّلع على سير عظماء المسلمين في جوانب شتى من العظمة، ستلحقه رغبة جامحة في الاقتداء وإحسان العمل(٤).

– أن الأتباع ينظرون إلى الداعية: نظرة دقيقة فاحصة دون أن يعلم، فرب عمل يقوم به لا يلقي به بالاً يكون في حسابهم من الكبائر؛ وذلك أنهم يعدونه قدوة لهم(٥).

---

(١) القدوات الكبار للشريف، مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) صحيح البخاري، حديث ٣٠٧٧، تخريج ٢٣، إسناده متصل، رجاله ثقات، على شرط البخاري، وفي صحيح مسلم، حديث ٧٨، إسناده متصل، رجاله ثقات، على شرط مسلم.

(٣) المشكلات التربوية الأسرية والأساليب العلاجية، مرجع سابق، ص ٦١.

(٤) القدوات للشريف، مرجع سابق، ص ١٦.

(٥) القدوة لابن حميد، مرجع سابق، ص ١١.

– أن وجود القدوة السيئة: يؤكد حتمية القدوة الصالحة، فإن وجود القدوة السيئة ومن يدعو لها، ووجود من يقتفي أثرهم من الجهال، وأصحاب الأهواء، يحتم: أهمية وجود القدوة الصالحة الناصحة التي ترد وتدحر من يمثلون القدوة السيئة؛ فقوم موسى – عليه السلام– وهم مع نبيهم لما جاوز الله بهم البحر، مروا على قوم يعبدون تماثيلاً لهم؛ فطلبوا من موسى – عليه السلام– أن يجعل لهم تمثالاً مماثلاً لها، فظهرت هنا أهمية القدوة الصالحة التي تصبر على الحق وتنصح له، والتي يمثلها في هذا الموقف موسى – عليه السلام– .. قال تعالى:﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ{١٣٨} إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ{١٣٩} قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (سورة : الأعراف ، آية : ١٣٨-١٤٠))[١].

– الدلالة على مكامن العظمة من هذا الدين وإمكانية تطبيقه مرة أخرى[٢].

– أن ثواب القدوة الصالحة يؤكد أهميتها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – ﷺ – فَحَثَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: عِنْدِي كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَمَا بَقِيَ فِي الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلَّا تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ–: مَنْ اسْتَنَّ خَيْرًا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ كَامِلًا وَمِنْ أُجُورِ مَنْ اسْتَنَّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ اسْتَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاسْتُنَّ بِهِ فَعَلَيْهِ وِزْرُهُ كَامِلًا وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِي اسْتَنَّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا"[٣].

(١) المشكلات التربوية الأسرية، مرجع سابق، ص ٦٥ .
(٢) القدوات للشريف، مرجع سابق، ص ١٧.
(٣) سنن ابن ماجة، رقم الحديث ٢٠٣، ٢/٢٧١٠، إسناده متصل، رجاله ثقات.

المحور الخامس:- أصول القدوة:

يذكر الشيخ صالح بن حميد أن للقدوة ثلاثة أصول، هي:

الأصل الأول- الصلاح، وهذا يتحقق بثلاثة أركان:

الركن الأول- الإيمان، ويقصد به: كل ما يجب اعتقاده من الإيمان بالله، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، وسائر أركان الإيمان إيمانًا يقينيًّا حازمًا.

الركن الثاني- العبادة؛ فيستقيم على أمر الله من: الصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر أركان الإسلام العملية.

الركن الثالث- الإخلاص، وهو: سر عظيم وباب دقيق، والتميز به من أعظم المطالب، وهو أولى ما ينبغي أن يفتش عنه في الرجل المقتدى به؛ فيكون المقصود بالقول والعلم والعمل لوجه الله -عز وجل- بعيدًا عن أغراض النفس وأغراض المخلوقين، بل عبودية خاضعة تمام الخضوع لله عز وجل أمرًا ونهيًا ونظرًا وقصدًا.

ومن أجل هذا فإنك ترى أن ضعف الإخلاص عند كثير من ذوي المواهب والمواقع القيادية: جعل تابعيهم والمعجبين بهم يشكون بمواهبهم ويرجعون بها القهقري.

الأصل الثاني- حسن الخلق:

إذا كان الصلاح يتوجه إلى ذات المقتدى به؛ ليكون صالحًا في نفسه قويمًا في مسلكه، فإن حسن الخلق يتوجه إلى: طبيعة علاقته مع الناس، وأصول تعامله معهم، وعليه الدعوة النبوية في قوله - صلى الله عليه وسلم-: " وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" (١).

(١) صحيح البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث ١٩٨٧، ١/١٩٨٨.

الأصل الثالث– موافقة القول العمل، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة: الصف، آية: ٢).

ويتحقق ذلك: بالصدق؛ فإن النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بمن علمت أنه يقول ولا يعمل، ويعلم ثم لا يعمل، ولهذا قال شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىَ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة: هود، آية: ٨٨)، وكذلك فإن كثيرًا من الناس لا يتوجه نحو العمل حتى يرى واقعًا ماثلاً، وأنموذجًا مطبقًا يتخذه أسوة، ويدرك به أن هذا المطلوب أمر في مقدور كل أحد(١).

(١) القدوة لابن حميد، مرجع سابق، ص ٣٣/١٣ بتصرف شديد.

المحور السادس:- الدوافع النفسية للاقتداء:

يقوم الاقتداء والتقليد للآخرين على أسس نفسية يمكن اختصارها في ثلاثة عوامل:

١- الإعجاب:

حيث إن الإنسان عندما يعجب: بسلوك معين، أو بشخصية يجد انجذابًا نفسيًّا داخليًا للاقتداء بها في عموم السلوك والأخلاق، أو في جزئيات معينة، ونجد أن الدافع لذلك هو: حب التجانس مع هذه الشخصية نتيجة الإعجاب، وهذا يتطلب من المربي – الوالدين أو غيرهما– أن يكون: شخصية جذابة في سلوكه، وعموم أفعاله وأخلاقه، حتى يغرس في أتباعه وطلابه الميل النفسي نحوه، وبالتالي يحصل الاندفاع لمحاكاته في الأقوال والأفعال.

٢- التنافس:

وذلك لأن التنافس السوي يكون مبنيًّا على الرغبة في التماثل والتسابق دون أن يوافق ذلك رغبة في زوال ما عند الآخرين، والمتأمل في أحوال الناس يجد أن مظاهر التقليد والتنافس تظهر في: جانب الزعامات والقيادات، وتظهر بين طلاب العلم، وكذلك في جانب المصالح والمكاسب المادية؛ فتجد أهل الصفة الواحد يتنافسون فيما بينهم في عمليات التسويق وجذب المشترين، وخير التنافس وأحسنه: فيما أخذ بيد العبد وقربه من ربه –عز وجل–، وقرب الأمة من طاعة الله وهذا ما يسمى بالغبطة.

٣- الشعور بالعجز أو النقص في بعض الجوانب: (مما يدفع المرء إلى الاحتذاء بمن يرى أنهم متفوقون عليه في ذلك الجانب، الذي أخفق في تحقيقه، ويرى أن في تقليدهم لذلك مخرجًا وعلاجًا قد ينقله ويخرجه مما يعاني منه، يقول الرسول – ﷺ–: " **لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا**

وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا"[1]) [2].

من ثم ينبغي للمربي من الوالدين والمعلم والداعية أن يكونوا: قدوة لمن يعلمونهم ويربونهم من الأبناء والتلاميذ وعامة المسلمين؛ فيتبعون أوامر الدين ويجتنبون ما ينهى عنه، ويتخلقون بالأخلاق الحسنة والصفات الإسلامية، ومنها: ما شملته سيرة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها– من مضامين تربوية؛ فيكونوا قدوة حسنة، ولا يكونوا قدوة سيئة، وقد أنكر الله –عز وجل– على أولئك الذين يعظون الناس ولا يتعظون ولا ينتهون، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة: البقرة، آية: ٤٤).

ويقول الإمام علي – رضي الله عنه– مؤكدًا على أهمية التزام المربي بالعمل قبل القول: " من نصّب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلمًا نفسه ومهذبها، أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم"[3]؛ لذلك فإن من أبلغ وسائل التأثير على الناشيء: القدوة الحسنة؛ فالنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به، ولأجل ذلك قال شعيب لقومه كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة: هود، آية: ٨٨).

---

(١) سنن الترمذي، مصدر سابق، رقم الحديث ٢٠٠٧، ج ٤، ص ٣٦٤.

(٢) المشكلات التربوية الأسرية: للحازمي، ص ٦٧–٧١، بتصرف.

(٣) مشكلات الدعوة والداعية: فتحي يكن، بيروت– مؤسسة الرسالة، ص٦٩.

المطلب الأول:- مواصفات الداعية القدوة:

من هذه المواصفات المهمة التي ينبغي أن لا يغفلها الداعية القدوة:

١- طلاقة الوجه وبشاشته عند ملاقاة الناس؛ فهي المفتاح لقلب من يستمع إليه - لا سيما- إذا كان يتبعها الرفق في المعاملة، واللطف في الألفاظ المستخدمة، واحترام المستمعين وعدم جرح أحاسيسهم ومشاعرهم.

٢- الابتعاد عن: خوارم المروءة، وسوء الأخلاق، بمعنى أن: "يصون نفسه عن الأدناس، ولا يشينها عن الناس"(١).

٣- أن يطابق فعله قوله، حتى يستشعر المستمعون صدق قول الداعية في تنفيذه لأقواله، مما يسوغ لهم تطبيقها على الوجه الأمثل، وبهذا التطابق يكون هناك ترابطًا بين حاستيْ السمع والبصر؛ فما يسمعه المصلون والمتعلمون من الداعية يشاهدونه أمامهم مفعّلا، وهذا الترابط أحرى للامتثال.

المطلب الثاني:- أهمية القدوة التربوية:

ومن خلال ما سبق نتوصل لأهمية القدوة التربوية: حيث تتضح أهمية التربية بالقدوة من أمور:

- أن الله سبحانه وتعالى جعل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده، ولم يكتفِ بإنزال الكتب السماوية عليهم، فقال تعالى بعد أن ذكر عددًا من رسل الله - عليهم الصلاة والسلام-: " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده" (سورة: الأنعام، آية: ٩٠).

- أن فطرة البشرية تتأثر بالمحاكاة، أما القدوة فأكثرها يتأثر بالقراءة والفهم، ولاسيما في الأمور العملية، وفي الشدائد وغيرها.

---

(١) المروءة وخوارمها: مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر (السعودية): دار العفان للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ص١٤.

– أن تأثير القدوة يمتد بصفة عامة في جميع الناس مثقفيهم وجاهليهم، حيث إنه باستطاعة كل إنسان أن يحاكي ما يراه، عرف القراءة أو لم يعرف؛ لذا كان الإنكار شديدًا على كل من يخالف قوله فعله بدليل قوله تعالى: " كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" (سورة: الصف، آية: ٣).

– بتوجيه النظر إلى مصدر كثير من الصفات المكتسبة عند أفراد المجتمع نجد أن: " كثيرًا من الصفات والأخلاق والقيم والاتجاهات لا يتعلمها الطلاب –أو المصلون– إلا عن طريق المربي القدوة؛ ذلك أن الطالب يُقدم على أداء الشعائر التعبدية ويحافظ عليها إن رأى معلمه يحافظ عليها"[١].

فهي مصدر التعليم ويتمنى أن يكون نسخة منه، ويحتذي خطواته في: خلقه، وعلمه، ونبله، وفضله، وفي جميع حركاته وسكناته، وإذا كانت " هذه هي نظرة التلاميذ فإنه لزامًا على هؤلاء أن يكونوا قدوة صالحة لأبنائهم التلاميذ، ونماذج رفيعة لما يقررون من مبادئ وما يشرحون من قيم، وما يصورون من فضائل، وما يرسمون من مثاليات نابعة من مكارم الأخلاق، وأن يكونوا صورًا حية تعكس حقيقة السلوك الأمثل الذي ينادون به، ويهيبون بالتلاميذ على ضرورة التزامه، كخط سير في الحياة، وشعار يرفعونه في سرهم وعلانيتهم، حتى لا يقع التلاميذ في تناقضات خطيرة"[٢]، بين القول الذي يسمعه من معلمه؛ فيتلقاه كمادة نظرية، وبين السلوك العملي الذي

(١) طرق تعليم التربية الإسلامية: محمد عبد القادر أحمد، القاهرة– مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٠هـ، ص٥٥.

(٢) طرق تعليم التربية الإسلامية: محمد عبد القادر أحمد، مرجع سابق، ص٥٤.

يشاهده من القدوة في عمله وهو يخالف قوله؛ لذلك يقول " زُبيد اليامي(١): أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة: من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يُوبخ نفسه"(٢).

– لقد أثبتت التجارب الملاحظة أن: القدوة الحسنة تعمل على جانب تدعيم القيم السلوكية، حيث إن " القدوة الحسنة هي: خير طريق لتثبيت المبادئ في نفوس المدعوين من مختلف الأعمار"(٣).

– قبول القدوات الحسنة واتخاذها مثالاً يحتذى به، وقوة تأثيرها في المجتمع، هي: نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر (التقليد)، وهي: رغبة ملحة تدفع الطفل الضعيف إلى تقليد الأقوى؛ فالمتفوق في أي شيء يعتبر قويًّا بالنسبة لغيره في هذا الشيء، والتفوق يكون في جميع المجالات كما هو ملموس في الحياة المعاصرة، وقد يكون التقليد لا شعوريًّا، أي لا يحس الإنسان بأنه يقلد آخرًا أُعجب به، وخير دليل على ذلك قول النبي– ﷺ– لأصحابه: "صلوا كما رأيتموني أصلي"(٤)، وكان يأمرهم بالحج ويقول: "خذوا عني مناسككم لعلي لا أراكم بعد عامي هذا"(٥).

---

(١) زُبيد اليامي: هو زُبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن عمرو بن كعب، كنيته: أبو عبد الرحمن اليامي الكوفي، ثقة ثبت، من الطبقة السادسة للرواة، توفي سنة ١٢٢هـ (برنامج جوامع الكلم).

(٢) عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، د. ط: د. ت، ج٢، ص١٨٤.

(٣) دارسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام: فتحية عمر حلواني، جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ، ص٩٦.

(٤) سنن الدار قطني، حديث ٩٢٥، تخريج ١١٥، إسناده متصل، رجاله ثقات.

(٥) سنن الدار قطني، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، باب في ذكر الأمر بالآذان والإقامة، حديث رقم ١٠٥٠، ج١، ص٢٧٩ ، والسنن الكبرى للبيهقي،

وليس المقصود من هذا التقليد أن: " يسير المدعوون على درب الداعية في تبعية فكرية وسلوكية جوفاء وعمياء، أو ما يسمى – بالتقليد الأعمى–؛ فيجب أن يكون مبدأ الاقتداء ملازمًا ومصاحبًا لعملية الوعي والإدراك"(١).

– من الملاحظ أن: " القدوة في الدعوة هي: أفعل الوسائل جميعًا وأقربها إلى النجاح، فمن السهل تأليف كتاب في الدعوة، ومن السهل تخيل منهج وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن يظل هذا المنهج حبرًا على ورق معلقًا في الفضاء محفوفًا بذلك الخيال"(٢).

فتبقى القدوة هي: الترجمة الحقيقية لمنهج الدعوة، وهي اللغة التي يفهمها بنو البشر باختلاف مدركاتهم العقلية وتفاوتها بينهم، من ثم يكون القدوة هو: الذي يحل مشكلة فهم النص، وتحرير المصطلحات، وذلك بتطبيقه العملي.

– كما تمثل الأسلوب التربوي الناجح الناجع في سيد المرسلين – ﷺ–، حيث كان ومازال: قدوة للناس في واقع الأرض يرونه – وهو بشر منهم–، تتمثل فيه هذه الصفات كلها وهذه الطاقات، من ثم يصدقون هذه المبادئ الحية؛ لأنهم " يرونها رأي العين ولا يقرؤونها في كتاب، ويرونها في بشر؛ فتتحرك لها نفوسهم، وتهفو لها مشاعرهم، ويحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرسول – ﷺ –، كلٌّ بقدر استطاعته؛ ليحققوها في ذوات أنفسهم بعد: اطلاع، وتفكر، واتباع، وامتثال، ثم تقليد، وهذا التقليد يبنى على: إعمال عقل، وتدقيق نظر، ثم اتباع للجوارح والأركان بعد الاقتناع، ومن هنا تبرز:

حديث ٨٨١٨، تخريج ٤١، إسناده حسن، رجاله ثقات عدا محمد بن مسلم القرشي وهو صدوق إلا أنه يدلس.

(١) معلم، وسيم عبد الرحمن محمد، مرجع سابق، ص١٤٦– ١٥٠ بتصرف.

(٢) منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، ط٧، دار الشروق– بيروت، ١٤٠٣هـ، ص١٨٠.

أهمية أسلوب الدعوة بالقدوة في الطرح الدعوي بالمنهج الرباني الذي وضعه الله تعالى للبشر كافة"[١].

– كما أن وجود القدوة السيئة يؤكد حتمية وجود: القدوة الصالحة، بدليل وجود المعترك المستمر بين البشر في الحق والباطل، ولو اختفى الباطل لما كان هناك حاجة للنهي عن المنكر، كما أن وجود من: يمثل القدوة السيئة، ويدعو لها، ووجود من يقتفي أثرهم من: الجهال، وأصحاب الأهوال، يُحتِّم أهمية وجود: القدوة الصالحة الناصحة التي تدفع وتدحر من يمثلون القدوة السيئة، وفي القرآن نماذج كثيرة تدل على وجود قادة للشر يجابههم قادة للخير من الرسل والأنبياء.

– كذا فإن ثواب القدوة الصالحة يؤكد أهميتها، وحاجة كل فرد أن يمثلها، "حتى يحصل على ما أعده الله تعالى لمن يمثلونها، وباستكشاف القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة نجد: العديد من النماذج تمثل القدوة الحسنة، وما آل إليها من: ثواب ونعيم في الآخرة، والقدوة السيئة وما نزل بها من: التنكيل، والعذاب من الله"[٢].

(١) الأصول الإسلامية للتربية: سعيد إسماعيل علي، ط٣، القاهرة– دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ، ص٣١٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية: الحازمي، د. خالد بن حامد، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٨١– ٣٨٣.

المحور السابع:- ضوابط الدعوة إلى الله:

إن الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم ومسلمة، وهي المهمة التي كلّف الله بها رسوله – ﷺ–، وكلّف بها هذه الأمة كما قال تعالى: " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" [سورة: آل عمران، آية:١١٠]، فقد خلق الله تعالى الجن والإنس لعبادته فقال سبحانه: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (سورة: الذاريات، آية: ٥٦)، وهذه العبادة تحتاج إلى بشر يبلّغون عن الله –جل وعلا–، والدعوة إلى الله هي التي من أجلها شرّف الله أمة الإسلام، فجعلها بذلك خير أمة أخرجت للناس؛ لأنها حملت رسالة الله إلى العالمين.

وبما أن هذا الدين: خاتم الأديان، والرسول محمد ﷺ: خاتم الأنبياء؛ لذلك فلابد من المتابعة في نشر هذا الدين، والدعوة إليه؛ تنفيذًا لأمر الله تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" (سورة: آل عمران، آية: ١٠٤)، وخطاب التكليف في هذه الآية الكريمة: شامل للرجال والنساء، وهنا مساواة بين المرأة والرجل في أصل التكليف دون التصدر للميادين العامة؛ لأن ذلك من شأن الرجال دون النساء.

والأصل: أن قيام المرأة بالدعوة بين بنات جنسها أولى وأحق؛ ونتيجة لذلك تعيّن بيان ضوابط العمل الدعوي بشكل عام، وبيان الضوابط التي تخص المرأة، فعلى المسلم سواء كان رجلاً أو امرأة أن يلتزم: بعدة ضوابط؛ حتى يثمر عمله ويصل إلى الهدف الرئيس الذي من أجله تم القيام بهذا العمل، ومن هذه الضوابط:

– الاهتمام بالتأهيل العلمي: وذلك بتحصيل العلم الشرعي، والتفقه في الدين؛ ليكون ما يقوم به الداعية من نشاط دعوي: مثمرًا، وعلى بصيرة؛ لقوله تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي.." أي على علم.

– الاعتماد على القرآن الكريم، والتمسك بالسنة النبوية المطهرة: حيث إن الداعية يحتاج على الدوام إلى: الرجوع لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه الكريم؛ ليعمل ما يرضي الله من خلال: شرعه المطهر، وعبر جميع الأقوال والأفعال؛ ليتم دفع الشبهات والابتعاد عن الشهوات، فما يوافق الكتاب والسنة يأخذ به ويدعو إليه، وما يخالفهما يبتعد عنه ويُحَذِّر منه.

– سلامة الوسيلة وضمان مشروعيتها: وذلك بأن تكون موافقة للشرع المطهر، وخالية من أي انحراف قد يخل بالهدف المنشود من استخدامها.

– التركيز على المحكمات: وذلك بالعودة إلى الأمور البيّنة الواضحة التي لا التباس فيها، وترك ما فيه اشتباه على كثير من الناس؛ تجنبًا للاختلاف والفتنة، وحرصًا على تبليغ الدعوة للمدعوين في قالب بيِّن واضح.

– التدرج في الدعوة: وهذا اتباع لما جاء في حديث معاذ بن جبل عندما بعثه –عليه الصلاة والسلام– إلى اليمن وأوصاه بأهلها خيرًا؛ فقال له: " ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم" [1]، وهذا ما يسمى: بسلم الأولويات، حيث لا نبدأ بالفروع الفقهية الخلافية ونترك أمر العقيدة على سبيل المثال.

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ١٣١٤، تخريج ٧٢، إسناده متصل، رجاله ثقات، على شرط البخاري.

– التيسير المبني على الدليل اتباعًا لما ورد عن الرسول – ﷺ–: " يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا" (١)، والرسول– ﷺ– ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

– الحكمة: وهي القيام بالعمل في الوقت المناسب، ومراعاة المكان المناسب أيضًا، ومراعاة الجوانب الأخرى للعمل الدعوي من: طبيعة المدعوين، وظروفهم، واحتياجاتهم، وفئاتهم العمرية.

– البعد عن التعصب: وذلك بتجنب الانحياز لمذهب دون مذهب، أو عالم دون آخر، فيجب أن يكون الهدف: إظهار الحق، وتبليغه للناس، وإن كان مخالفًا لرأي آخرين؛ فالتعصب والتطرف من خطوات الشيطان، والأئمة الأربعة جميعهم: أئمة هدى ودعاة حق، وإن وقع ما وقع من خلاف في الفروع بينهم.

– إنزال الناس منازلهم: وهي من الأمور المهمة التي يجب مراعاتها والتنبه لها، فالتعامل مع الناس يكون: وفق أقدارهم، فالكبير يكون له قدر من التقدير والاحترام، والصغير يتم التعامل معه بالرحمة، والعلماء لهم قدرهم الخاص، ويكون التعامل معهم بالإجلال والتوقير.

– القدوة الحسنة: وذلك بأن يكون الداعية قدوة: في نفسه، وفي أسلوب تعامله، وسلوكه، وأن يتخذ الجميع رسول الله – ﷺ – قدوة لهم، قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (سورة: الأحزاب، آية: ٢١).

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٦٨، تخريج ٣١ ، إسناده متصل، رجاله ثقات على شرط البخاري، وصحيح مسلم، حديث رقم ٣٢٧٠، تخريج ٣١، إسناده متصل، رجاله ثقات على شرط مسلم.

– مراعاة المصالح والمفاسد: فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهذه قاعدة شرعية لا بد من مراعاتها، وعند تعارض المصلحتين ينظر في أعلاهما، وعند تعارض المفسدتين يتجنب أعظمهما ضررًا.

– الدعوة إلى الله تعالى سبيل من سبل النجاة في الدنيا والآخرة؛ " ولأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمر النَّعم"، والأجر يقع بمجرد الدعوة ولا يتوقف على الاستجابة، والداعية ليس مطالبًا بتحقيق نصر للإسلام؛ فهذا أمر الله، لكنه مطالب ببذل جهده في هذا السبيل، والإعداد للداعية شرطٌ، والنصر من الله وعدٌ، والدعوة صورةٌ من صور الجهاد تشترك مع القتال في الهدف والنتيجة.

– تأكيد منهج سلف هذه الأمة المتمثل في: منهج أهل السنة والجماعة، وتعميقه، وهو المعروف: بوسطيته، وشموليته، واعتداله، وبعده عن: الإفراط، والتفريط، والانطلاق من منطلق العلم الشرعي الملتزم بالكتاب والسنة الصحيحة هو: الحافظ بفضل الله من السقوط، والنور لمن عزم على المسير في طريق الأنبياء.

– الحرص على إيجاد جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم على الحق؛ أخذًا بالمنهج القائل: " كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة"، مع الابتعاد عما يمزّق الجماعات الإسلامية اليوم من: التحزب المذموم الذي فرق المسلمين وباعد بين قلوبهم، والفهم الصحيح لكل تجمُّع في الدعوة إلى الله: جماعة من المسلمين لا جماعة المسلمين.

– يجب أن يكون الولاء للدين لا للأشخاص؛ فالحق باقٍ والأشخاص زائلون، واعرف الحق تعرف أهله.

– الموقف الصحيح من المذاهب الفقهية: أنها ثروة فقهية عظيمة ندرسها، ونستفيد منها، ولا نتعصب لها، ولا نردها مجملاً، ونتجنب ضعيفها، ونأخذ منها الحق والصواب على ضوء الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة.

– تحديد الموقف الصحيح من الغرب وحضارته: بحيث نستفيد من علومهم التجريبية بضوابط ديننا العظيم وقواعده.

– الإقرار بأهمية الشورى في الدعوة، وضرورة تعلم الداعية فقه الاستشارة(١).

من ثم نلحظ أن هذه الضوابط والفوائد السابقة هي: ثمرة وزبدة تجارب كثير من العلماء والدعاة إلى الله تعالى، ولنعلم يقينًا أن الدعاة إلى الله لو فقهوا هذه الضوابط وعملوا بها لكان في ذلك خير كثير لمسيرة الدعوة.

(١) ضوابط في الدعوة إلى الله تعالى: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، موقع " صيد الفوائد".

المحور الثامن:- منهج الإسلام في تقرير جانب القدوة الحسنة:

لقد انتهج الإسلام في معالجته لجانب القدوة الحسنة نهجًا يسيرًا سهلاً، بالإضافة إلى أنه أولى القدوة اهتمامًا عظيمًا، إذ لم يقف الأمر عند نزول القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، بل صاحب القرآنَ نبيٌّ رسول قدوة من بني البشر، يفسر مبهمه، ويترجم تشريعاته إلى واقع معاش، حيث يرى الناس في سلوكه وسائر تصرفاته: أوامر القرآن ونواهيه، فإذا رأي الناس بشرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق: يمتثل هذه الأخلاق، ويعمل بهذه التوجيهات الربانية، سهل عليهم الاقتداء والمتابعة، وجعل كل واحد منهم من نفسه قدوة لغيره؛ لشعوره بأن هذا الخطاب قد وجّه إليه هو الآخر، كما وجه لقدوته العظمى محمد -صلى الله عليه وسلم-: ونلمس تقرير منهج الإسلام للقدوة الحسنة من خلال عدة مطالب، منها:

المطلب الأول:- القرآن الكريم وتقرير مبدأ القدوة:

إن تقرير القرآن الكريم لأسلوب القدوة الحسنة برز: عبر آياته المباركة، حيث يدعو إلى الاقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وطاعته فيما يأمر وينهى: طاعة مطلقة، قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا" (سورة: الأحزاب، آية: ٢١).

يقول ابن كثير في تفسيره (١٤٠٦هـ): "هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي -ﷺ- يوم الأحزاب، في: صبره، ومصابرته، ومرابطته، ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه ﷻ"(١).

(١) تفسير ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٣، ص ٧٥٦.

ويقول محمد قطب: "إن شخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم– ليست شخصية عصر ولا جيل ولا أمة ولا مذهب ولا بيئة، إنها آية كونية للناس كافة وللأجيال كافة...؛ فهو للعالمين كلهم، ولسائر الناس في جميع الأزمان من لدن مبعثه، وفي جميع الأجيال، وفي كل الأرض، آية باقية لا تذهب ولا تنقص ولا تزول" (١).

ومنه قوله تعالى: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب"(سورة: الحشر، آية: ٧).

كذا من الأمور التي تشير إلى تقرير الرسول لأسلوب القدوة: ما خاطب الله به نبيه –صلى الله عليه وسلم–، في قوله بعد أن ذكر الأنبياء من قبله: "أولئك الذي هداهم الله فبهداهم اقتده"(سورة: الأنعام، آية:٩٠).

ويرى الباحث: وجود العديد من الآيات في تأصيل مسألة الاقتداء، لكنها تحتاج إلى إفراد بحث آخر خارج الدراسة.

المطلب الثاني:– السنة النبوية الشريفة وتقرير مبدأ القدوة:

لقد حفلت كذلك السنة النبوية المطهرة بكثير من الأحاديث والمواقف التي تقرر مبدأ القدوة، عن طريق: الدعوة إلى الاقتداء برسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وبكل من دعا الناس إلى الخير، أو حملهم على هدى، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: ما رواه أبو داود في سننه عن العرباض بن سارية – رضي الله عنه– قال: صلى بنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة: ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب؛ فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع

(١) منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، ج١، ص١٨٤.

والطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، فإن من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليه بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة"(١).

ومنه ما رواه مسلم في صحيحه من حديث المنذر بن جرير عن أبيه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"(٢).

ومما رواه ابن حبان أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "صلوا كما رأيتموني أصلي"(٣).

وقد تخلّق النبي –صلى الله عليه وسلم–: بخلق القرآن، وتأدب: بأدب القرآن، وقد ثبت أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، وحينما سُئلت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عن خلق النبي –صلى الله عليه وسلم– فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن؟ قول الله عز وجل: "وإنك لعلى خلق عظيم"(سورة: الأحزاب، آية: ٢١).

---

(١) سنن أبي داود،١٤٠٩هـ، ج٢، ص٦١١، وصحح الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٤٠٩هـ، ج٣– ص٨٧١.

(٢) صحيح مسلم، شرح النووي، د.ت، ج٧، ص١٠٧– ١٠٨.

(٣) ابن حبان، ١٤١٤هـ، ج٤، الحديث رقم ١٦٥٨، ص٥٤١.

المحور التاسع: - الآثار التربوية للقدوة:

إن للقدوة الحسنة الصالحة آثارًا تربوية كبيرة، قد يبلغ من تأثيرها أن تكون: أبلغ أثرًا في التعليم من أسلوب الترغيب والترهيب، بل قد لا يجدي أسلوب الترغيب والترهيب والتعزير في كثير من الناس، في حين أن القدوة الصالحة تصل بذلك المتعلم إلى الهدف المرجو؛ لأن المتعلم سواء كان طالبًا أو ابنًا أو زوجة أو تابعًا عندما يرى من معلمه المبادرة والقدوة إلى ما يدعو إليه: يعلم جدية الأمر، وأن ما يطلب منه أمر واقعي يمكن تطبيقه بيسر وسهولة.

من ثم فإن حاجة الناس إلى القدوة تنبع من: غريزة تنبعث من نفوس البشر، هي: حب التقليد والمحاكاة، وهي لدى الحيوانات والناس على السواء، إلا أنها تصل إلى ذروتها من الوعي والسمو عند الإنسان متى اتسمت بالتربية الإسلامية(١).

وخير مثال على ذلك: ما رواه البخاري في صحيحه في سياق قصة الحديبية، حين صدّ المشركون رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن البيت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: "قوموا فانحروا ثم احلقوا" قال –الراوي–: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك: ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه،

(١) الحلواني، ١٤٠٣هـ، ص٩٥، بتصرف.

ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا(١).

نلحظ من هذا الحديث: أن كبار الصحابة المقتدين برسول الله –صلى الله عليه وسلم– لم يستجيبوا لأمر النبي وتكراره الأمر ثلاث مرات، وحين رأوا أن قدوتهم فعل أمامهم ما يقول: ما كان منهم إلا المسارعة بالفعل؛ تأسيًا بالنبي المصطفى –صلى الله عليه وسلم–.

" وإذا كان هذا هو حال الصحابة مع رسولهم –صلى الله عليه وسلم–، فكيف بمن هو دونهم في الفضل والمسابقة؟ مع أنهم رضوان الله عليهم ما كانوا يمتنعون عن ذلك رغبة في مصالح خاصة، أو شهوات ذاتية، أو استكبارًا عن تنفيذ أمره، وإنما كان ذلك حرصًا منهم على دخول مكة لأداء العمرة التي طالما اشتاقت نفوسهم الزكية لها، وتحديًا للمشركين الذي كان الصحابة –حسب تصورهم– لا يرضون الدنية في دينهم بالعودة إلى المدينة، وأعداء الله يشاهدون، مع أن الزمن الذي هم فيه زمن تشريع، وربما نزل من السماء: توجيه لهم بدخول مكة؛ لأداء العمرة، أو مقاتلة المشركين.

من هنا نلحظ: أن التربية بالقدوة أسلوب تربوي إسلامي أصيل، بدأه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وربى أتباعه على ذلك، فلما رأوه –صلى الله عليه وسلم– قدوة فيما يأتي وما يذر، أحبوه من سويداء قلوبهم، وتسابقوا إلى متابعته وتنفيذ أمره، واستلهموا هذا الهدى من سلوكه؛ فكانوا في الخير: قدوات، وفي الهدى والرشاد: أسوات"(٢).

---

(١) صحيح البخاري، د.ت، ج٣، ص٢٥٧.

(٢) التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٢٢–٢٢٣ .

وقد سار الخلفاء على درب النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد: تشربهم لخلاله الحسنة، وتأسيهم بخلقه الرفيع، والنماذج على ذلك كثيرة منها: ما فعله عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه– يوم توليه الخلافة، حيث خطب خطبة بليغة عظيمة، أرسى فيها: قواعد الحكم العادل، والمنهجية الصادقة، وكان من صفاته –رضي الله عنه– أنه إذا أراد أن يأمر الناس بأمر: جمع أهله ليعرض عليهم ما يريد أن يبلغ الناس به؛ ليكونوا أول المتمثلين له.

فقد روى الطبري عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: "كان عمر إذا نهى الناس عن أمر دعا أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإنما ينظر الناس إليكم نظر الطير للحم، فإن وقعتم وقع الناس، وإن هبتم هاب الناس، وإنه والله لا يقع أحد منكم في شيء نهيت الناس عنه إلا أضعفت له العقوبة؛ لمكانه مني"(١).

وقد قال مرة من على المنبر كما ذكر ذلك الطبري: "إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف، ولوددت أنكم علمتهم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست معلمكم إلا بالعمل"(٢).

وفي هذا القول: لمحة ذكاء من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تلميذ المدرسة المحمدية، حيث فطن لنوعية العقول التي يخاطبها، وعاقبة القول دون العمل أمامهم، فأراد أن يعمل ما يريد؛ فهو أقرب طريق إلى التعلق بالأذهان، وقد عرف حديثًا أن الطريقة العملية في الأداء أثبت في النفس من الطريقة النظرية.

---

(١) الرياض النضرة: الطبري، د.ت، ج٢، ص٣٠٨.

(٢) تاريخ الرسل والملوك: الطبري، د.ت، ج٣، ص٥٨٤.

ولقد كانت أفعاله –صلى الله عليه وسلم– أبلغ في التأثير من أقواله، فقد علّم الناس بالعمل، وحملهم على ما يريد من أمور الخير بالقدوة، ولهذا ذكر الطبري: أن عمر –رضي الله عنه– لما ولي أمور المسلمين" ظل على حاله في: لباسه، وزيّه، وأفعاله، وتواضعه، ولم تبطره النعمة، ولا استطال على مؤمن بلسانه"(١).

من ثم نجد أن القدوة الصالحة: عنصر فعال في نجاح العملية التربوية؛ لكون النفس تسكن إلى ما تُدعى إليه، حيث ترى الداعي يمتثل ذلك.

وحين تفقد القدوة تجد أن المربي: يردد ما لا يفعل، من ثم لا تصل توجيهاته إلى القلب، ولا تستجيب له الأفهام؛ لأنه بذلك قد أفقد الثقة في نفسه حين يتخلى عن مبادئه التي يدعو إليها، إذ لو كانت حقًّا – في نظر الآخرين– لكان أول السابقين إليها، والمنفذين لها، ولذا قال الشاعر في مثل هذا الموضع محذرًا من مغبة القول دون الفعل: بأبيات غاية في الجمال والحكمة من تدبرها وفهم معناها لم يقع فيما قيلت فيه، قال الشاعر:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك تعدل إن وعظت ويُقتدى ... بالقول منك ويُقبل التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم(٢)

ويرى الباحث: أن سبب تقديم القدوة في البحث، ومنحها هذا الاهتمام البالغ، حتى صارت أمًّا لأخواتها من الأساليب التربوية، بل جعلت هي الأصل وما بعدها من الأساليب تابع لها؛ وذلك لما لها من أهمية في الدرس

(١) الرياض النضرة: الطبري، مرجع سابق، ص٣١٤.

(٢) المستقصي: الزمخشري، نسبة للمتوكل الكناني.

العلمي والعملي، كما أنها بفقدها اختلت المعايير التربوية ولم تصل بالمتعلم والمتلقي إلى الغاية المنشودة، وإذا توافرت في المربي وفُقد ما عداها كادت أن تفي بالغرض، وأن تصل بالمتلقي إلى المراد، ولكن ترابط تلك الأساليب في رباط واحد: خير دليل على تكامل العمل التربوي، ونجاحه، ووصوله إلى تحقيق الأهداف المطلوبة.

المحور العاشر: - كيفية تطبيق القدوة الحسنة في الدعوة:

هناك عدة أمور يجب على كل داعية: التحلي بها، وتطبيقها من خلال القدوة الحسنة؛ كي يحقق الأصول الحقيقية المرادة من الدعوة، وهي:

– الدعوة إلى التعاون وإلى كل ما يوصل إليه، والبعد عن مواطن الخلاف وكل ما يؤدي إليه، وأن يعين بعضنا بعضًا، وينصح بعضنا بعضًا: فيما نختلف فيه مما يسع فيه الخلاف مع عدم التباغض.

والأصل بين الجماعات الإسلامية المعتدلة: التعامل والوحدة، فإن تعذر ذلك؛ فالتعاون، فإن تعذر ذلك؛ فالتعايش، وإلا فالرابعة: الهلاك.

– عدم التعصب للجماعة التي ينتسب إليها الفرد، والترحيب بأي جهد طيب يقدّمه الآخرون، ما دام موافقًا للشرع وبعيدًا عن الإفراط والتفريط.

– الاختلاف في فروع الشريعة يوجب: النصح والحوار لا التخاصم والقتال.

– النقد الذاتي، والمراجعة الدائمة، والتقويم المستمر.

– تعلُّم أدب الخلاف، وتعميق أصول الحوار، والإقرار بأهميتهما، وضرورة امتلاك أدواتهما.

– البعد عن التعميم في الحكم، والحذر من آفاته، والعدل في الحكم على الأشخاص، ومن الإنصاف: الحكم على المعاني دون المباني.

– التمييز بين الغاية والوسيلة، مثلاً: الدعوة هدف، لكن الحركة والجماعة والمركز وغيرها هي من: الوسائل.

– الثبات في الأهداف، والمرونة في الوسائل؛ بحسب ما يسمح به الشرع.

– مراعاة قضية الأولويات، وترتيب الأمور حسب أهميتها، وإذا كان لا بدَّ من قضية فرعية أو جزئية؛ فينبغي أن تأتي في: مكانها، وزمانها، وظرفها المناسب(١).

– تبادل الخبرات بين الدعاة أمر مهم، والبناء على تجارب من سبق، والداعية لا يبدأ من فراغ، وليس هو أول من تصدى لخدمة هذا الدين ولا يكون آخر المتصدِّين؛ ولأنه لم يوجد ولن يوجد من هو فوق النصح والإرشاد، أو من يحتكر الصواب كله وبالعكس.

– احترام علماء الأمة المعروفين بتمسكهم بالسنَّة وحسن المعتقد، وأخذ العلم عنهم، وتوقيرهم وعدم التطاول عليهم، والكفّ عن أعراضهم، وإثارة التشكيك في نيّاتهم، وإلصاق التهم بهم، دون التعصب لهم أيضًا؛ إذ كل عالم يخطئ ويصيب، والخطأ مردود على صاحبه مع بقاء فضله وقدره ما دام مجتهدًا.

– إحسان الظن بالمسلمين، وحمل كلامهم على: أحسن محامله، وستر عيوبهم، مع عدم الغفلة عن بيانها لصاحبها.

– إذا غلبت محاسن الرجل لم تذكر مساوئه إلا لمصلحة، وإذا غلبت مساوئ الرجل لم تذكر محاسنه؛ خشية أن يلتبس الأمر على العوام.

– استعمال الألفاظ الشرعية؛ لدقتها وانضباطها، وتجنب الألفاظ الدخيلة والملتوية، مثلاً: الشورى لا الديمقراطية.

– القدوة الحسنة والداعية: مرآة دعوته والنموذج المعبِّر عنها.

– اتباع سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، وجعل قول الله تعالى: " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن "{النحل: ١٢٥} ميزانًا للدعوة وحكمة للسير عليها.

---

(١) ضوابط ومنطلقات الداعية إلى الله ، مصدر سابق.

– التحلّي بالصبر؛ لأنه من صفة الأنبياء والمرسلين، ومدار نجاح دعوتهم.

– البعد عن التشدُّد، والحذر من آفاته ونتائجه السلبية، والعمل بالتيسير والرفق؛ في حدود ما يسمح به الشرع.

– المسلم طالب حق، والشجاعة في الحق مطلب ضروري في الدعوة، وإن كنتَ عاجزًا عن قول الحق؛ فلا تقل الباطل.

– الحذر من الفتور ونتائجه السلبية، وعدم تغافل دراسة أسبابه وطرق علاجه.

– الحذر من الإشاعة وترويجها، وما يترتب عليها من آثار سيئة في المجتمع الإسلامي.

– مقياس التفاضل هو: التقوى والعمل الصالح، وتحاشي كل العصبيات الجاهلية من التعصب: لإقليم، أو عشيرة، أو طائفة، أو جماعة.

– المنهج الأفضل في الدعوة هو: تقديم حقائق الإسلام ومناهجه ابتداءً، وليس إيراد الشبهات والردّ عليها، وإعطاء الناس ميزان الحق، ودعوتهم إلى أصول الدين، ومخاطبتهم على قدر عقولهم، والتعرّف على مداخل نفوسهم وسيلة لهدايتهم(١).

– تمسّك الدعاة والحركات الإسلامية بدوام: الاعتصام بالله تعالى، وتقديم الجهد البشري، وطلب العون من الله تعالى، واليقين بأن الله هو الذي يقود ويوجّه مسيرة الدعوة، ويسدّد الدعاة، وأن الدين والأمر كله لله –سبحانه وتعالى–.

(١) ضوابط ومنطلقات الداعية إلى الله، مصدر سابق.

الخاتمة

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، شهادة عليها نحيا، وعليها نموت، وعليها نبعث إن شاء الله آمنين مطمئنين.

ففي نهاية هذا البحث: أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها، والتي تتلخص في النقاط التالية:

– يجب أن يعلم جميع الدعاة أنه لا صلاح لهم، ولا نجاح لدعوتهم إلا بالاعتصام بالله، والتوكل عليه في كل أمر، وإخلاص النية، والتجرّد من الهوى، وجعل الأمر كله لله تعالى.

– أن الإسلام قد انتهج في معالجته لجانب القدوة الحسنة نهجًا يسيرًا سهلاً، بالإضافة إلى أنه أولى القدوة اهتمامًا عظيمًا، إذ لم يقف الأمر عند نزول القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، بل صاحب القرآنَ نبيّ رسول قدوة من بني البشر، يفسر مبهمه، ويترجم تشريعاته إلى واقع معاش، حيث يرى الناس في سلوكه وسائر تصرفاته أوامر القرآن ونواهيه، فإذا رأي الناس بشرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق يمتثل هذه الأخلاق، ويعمل بهذه التوجيهات الربانية، سهل عليهم الاقتداء والمتابعة، وجعل كل واحد منهم من نفسه قدوة لغيره لشعوره بأن هذا الخطاب قد وجه إليه هو الآخر، كما وجه لقدوته العظمى محمد _ صلى الله عليه وسلم _

– استخدم النبي – ﷺ– أسلوب القدوة الحسنة مع الناس جميعًا، فقد كان قدوة في أخلاقة وفي نفسه وفي أهله، وفي كل تصرفاته، وكان يولي أصحابه مرة بالقول، وأخرى بالعمل والممارسة، من ثم وجب على جميع المسلمين الاقتداء برسول الله – ﷺ– في أقواله وأفعاله.

– اتبع النبي – صلى الله عليه وسلم–: عدة أساليب تربوية في تعليم أمته، منها : الأساليب التربوية التي اتبعها في تربية الرعيل الصالح من: طرح بعض الأسئلة التي تحتاج إلى شيء من التفكير والفطنة؛ رغبة في شحذ ذكائهم، وتنمية أفكارهم.

– لقد كانت طريقة النبي – ﷺ– المثلى تتمثل في: توجيه المسلمين لاستخدام عقولهم النيّرة في حل المشكلات التي لم يَرد فيها نصٌّ من الوحي؛ فهي متروكة لاجتهادهم(١).

ولقد ذكر القرطبي قول حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – أنه قال: " اتقوا الله يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا"(٢)، والآثار في هذا كثيرة جدًا.

وبعد هذا البسط في الحديث يتضح لنا: أهمية القدوة الحسنة التي يوافق ظاهرها باطنها، وقولها فعلها، حتى ينجح المجتمع ويصل إلى المثالية المطلقة، والتي تساعد على خروج جموع المسلمين مما هم فيه من أزمات ونكبات، وتعيدهم إلى سالف عهدهم من عزّة وفخر ومجد..؛ فالله الله في حلاوة اتباع سنة النبي – ﷺ–، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وبعد ... فلعلي بما أوضحت في هذه الدراسة، وبما اتبعت من منهج أكون قد وفّقت فيما قصدت إليه، وأن يقع هذا البحث من نفس

(١) دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، مصدر سابق، ص٨٩–٩١.

(٢) كتاب البدع والنهي عنها: ابن وضاح، ١٤١٦هـ، ج١، ص٣٦ .

قارئه الكريم موقع القبول والرضا، فإن تحقق ذلك فالفضل لله وحده، وإن تكن الأخرى فإنما هو دليل بشريتي، والكمال لله وحده وحسبي أنني بشر يصيب ويخطئ " والله يقول الحق وهو يهدي السبيل".

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

الباحث

فهرس المراجع

أولا :- القرآن الكريم.

ثانيا :- المراجع العامة:

١- الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية، سعدون محمود الساموك، عمّان - دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٢- الأصول الإسلامية للتربية، سعيد إسماعيل علي، ط٣، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ.

٣- أصول التربية الإسلامية، الحازمي، د. خالد بن حامد، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.

٤- أصول التربية الإسلامية: القاضي، سعيد إسماعيل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥- التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، عماد محمد محمد عطية، ط. مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٦- التربية الإسلامية مفهومها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، العقيل، عبد الله ابن عقيل، مربوها، ط١، ١٤٢٧هـ، مكتبة الرشيد، الرياض.

٧- التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها: الحدري، خليل ابن عبد الله بن عبد الرحمن، ط جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ.

٨- تحقيق الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٧م.

٩- تفسير ابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ.

١٠- تهذيب اللغة: للأزهري، محمد بن أحمد، تح: الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٧م.

١١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، طبعة دار الثقافة.
١٢- دارسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، فتحية عمر حلواني، جدة- تهامة، ١٤٠٣هـ.
١٣- الرياض النضرة، الطبري، د.ت.
١٤- سنن أبي داود،١٤٠٩هـ- وصحح الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٤٠٣هـ.
١٥- سنن ابن ماجه، دار الفكر- بيروت، تح: محمد فؤاد عبد الباقي.
١٦- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون.
١٧- سنن الدار قطني، علي بن عمر الدار قطني، بيروت- دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، باب في ذكر الأمر بالآذان والإقامة .
١٨- الصحاح، الجوهري، دار العلم للملايين- بيروت، عام١٤١٤هـ.
١٩- صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، تح: شعيب الأرنؤوط.
٢٠- صحيح البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة- جامعة دمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢١- صحيح مسلم، شرح النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت .
٢٢-ضوابط في الدعوة إلى الله تعالى، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، موقع " صيد الفوائد".
٢٣- تاريخ الرسل والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٧.

٢٤- طرق تعليم التربية الإسلامية، محمد عبد القادر أحمد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٠هـ.
٢٥- عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط: بدون، ت: بدون.
٢٦- القدوات الكبار، الشريف، محمد موسى، مكة، دار الفرقان، ١٤٢٨هـ.
٢٧- القدوة مبادئ ونماذج، ابن حميد، صالح بن عبد الله ، منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ .
٢٨- كتاب البدع والنهي عنها، ابن وضاح ، ١٤١٦هـ
٢٩- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت ، عام ١٤١٢هـ .
٣٠- مدخل إلى التربية الإسلامية، الغامدي، د. عبد الرحمن بن عبد الخالق ابن حجر، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، الرياض.
٣١- المروءة وخوارمها، مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر (السعودية)- دار العفان للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
٣٢- المستقصي في أمثال العرب، الزمخشري، نسبة للمتوكل الكناني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.
٣٣- المشكلات التربوية الأسرية والأساليب العلاجية، للحازمي.
٣٤- مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، بيروت، مؤسسة الرسالة.
٣٥- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط٧، بيروت- دار الشروق، ١٤٠٣هـ.